كاشغر . . حاضرة تركستان الشرقية

كم هو جميل ان يذكر المسلمون في غمرة سعادتهم ونشوتهم بالعيد السعيد اخوة لهم في الدين والعقيدة ، في بعض اقاصي الارض.. وتتآلف مشاعرهم واحاسيسهم بالغبطة والسرور ، كما توحدت قلوبهم ونفوسهم في اداء ماسنه الله عز وجل من الفروض والطاعات في شهر رمضان المبارك .. فتتحقق في امة الاسلام ما اراده المولى الكريم من الاخوة الايمانية والمحبة الصادقة .

وهذا مارمي اليه الاستاذ احمد ابوالفتح في مقاله (حديث العيد .. وعيد المسلمين في الصين) المنشور في جريدة الشرق الاوسط في عددها الصادر في غرة شهر شوال ١٤٠٨هـ والحديث الذي كتبه بديع ومناسبته جيدة . . والكاتب غني عن التعريف وكثيرا مايتطرق - جزاه الله خيرا - الى مواضيع وقضايا مثيرة تفيد المسلمين وتخدم مصالحهم وشئونهم .

بيد ان ثمة ملاحظات وقع فيها يراع الكاتب الكبير في معالجة شتات الموضوع الذي نقله عما كتبه مسيو الان بيرفيت بالفرنسية وقدمه هدية الى المسلمين في اطلالة اليوم الاول لعيد الفطر المبارك مما استوجب توضيح ذلك فيما يلي :

كاشغر . . وليست خاشجار

مدينة خاسجار . . او خاشجار الصينية الواقعة على حدود كيرجيزي السوفياتيه . . ويقصد بها مدينة كاشغر وتكتب بالفرنسية Kachgar

وبالانجليزية Kashghar وتقول عنها دائرة المعارف الاسلامية في طبعتها الحديثة عام ١٩٧٨م: بانها مدينة في تركستان الصينية ويقول عنها عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء صاحب حماه المتوفى عام ٧٣٢هـ في كتابه تقويم البلدان: كاشغر قاعدة تركستان.. واهلها مسلمون. وقد فتح هذه المدينة التركستانية القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي في عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك عام ٩٦هـ/٧١٤م ثم صارت قاعدة اول دولة تركية مسلمة في تركستان في عهد دولة قراخان فيما بين ٨٧٠-١٢١١م وعرفت خلال الحكم الاسلامي بانها مدينة العلم وكعبة العلماء، حتى وصفوها ببخارى الصغرى تمييزا لها عن بخارى مدينة الامام محمد بن اسماعيل البخارى في اوزبكستان بتركستان الغربية في الاتحاد السوفياتي، ينسب اليها حسين بن خلف الكاشغرى المتوفى ببغداد الذى صنف مائتى رسالة في مختلف علوم الاحاديث النبوية وسديد الدين الكاشغرى وابو الفتوح عبد الغفار بن حسين الالمعى الكاشغرى ومحمود بن حسين الكاشغرى الذى اهدى قاموسه (ديوان لغات الترك) الى الخليفة العباسي المقتدر بالله ويوغان بك الكاشغرى وزير السلطان سنجر السلجوقى وغيرهم.

ومدينة كاشغر هي قصبة ولاية كاشغر، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٢٨٩ مترا وتقع على ضفاف نهر قزيل سو الذى ينبع من عقدة باميير في جنوب غرب تركستان الشرقية وتبلغ مساحتها ٩٦ كيلو مترا مربعا ويبلغ سكانها ٢٧٠ الف نسمة بموجب احصاء عام ١٩٨٣م ويشكل المسلمون نسبة ٨٣ ٪

والباقون من المهجرين الصينيين الذين يتزايد اعدادهم تدريجيا بسبب انتهاج حكومة الصين الشعبية سياسة التهجير الصيني اليها .

الاميرة المعطرة . . دلشاد خاتون

تعنى الاشارات الواردة عن الاميرة المسلمة فى المقال بالاميرة المعطرة دلشاد خاتون زوجة جيهان خوجه شقيق برهان الدين خوجه ملك تركستان الشرقية . . وتروى الدكتورة كولجين جندرلى اوغلو (Dr. Gulcin Candarlioglu) فى كتابها (ابطال الملاحم التركية Turk Destan Kahramanlari) المطبوع فى استانبول عام ١٩٧٧م قصة الاميرة المعطرة (ايبارخان) التى يطلق عليها الصينيون (شانغ بى) فتقول : عندما غزت الصين تركستان الشرقية عام ١٧٥٧م التجأ الملك برهان الدين خوجه وشقيقه وبعض افراد الاسرة المالكة الى بدخشان وسار القائد الصينى زاو خوى Chao-hui الى بدخشان وطلب تسليم افراد العائلة المالكة مهددا بالغزو .. فما كان من السلطان شاه ملك بدخشان الا ان سلم الملك برهان الدين خوجه وشقيقه جيهان خوجه اليه وحمل الاثنان الى كاشغر حيث قتلهما القائد الصينى وبعث برأسيهما الى جين لونغ Chien Lung ملك الصين حينذاك .

وجرت العادة ان يوثق ملوك الصين صلاتهم مع ملوك ورؤساء الشعوب المغلوبة بعرى المصاهرة والزواج حتى تميل اليهم نفوسهم وتهدأ عداوتهم . ولما علم الامبراطور الصينى جين لونغ بروعة جمال الاميرة

د لشاد خاتون وحسنها الباهر وجسمها الذى يفوح منه شذى عطرى ساحر لا بد فيه لمخلوق ، هام بها ، وطلب احضارها بين يديه معززه مكرمة وسلمها ملك بدخشان ايضا الى الصينيين وحملها القائد الصينى زاو خوى بحيلة ماكرة حاكها مع سعيد مولا الى بكين . . وهناك علمت الاميرة د لشاد بمقتل الملك برهان الدين خوجه وزوجها جيهان خوجه .. وان الامبراطور الصينى احضرها برغبة الزواج منها ، فعقدت العزم على الرفض واضمرت الانتقام لزوجها المقتول ووطنها المغتصب . . ولكن الامبراطور جين لونغ قرر ملاطفتها واسترضائها وتحقيق امانيها ومطالبها حتى يحقق رغبته فى الزواج بمن احبها وعشقها .

انشأ لها حى اسلامى على الطراز التركستانى وراء القصر الذى سكنت فيه تشاهد بنى دينها وجنسها على طبيعتهم فتصفو من كدر الغربة وتخفف حنينها الى الوطن . ويقال انها تجولت فى حدائق القصر الغناء بشتى الازهار والثمار وقالت : فى بلادى تنبت شجرة ساقها من الحديد واوراقها من الفضة وثمارها من الذهب . . واشتقت الى رؤيتها . . وكانت تقصد بذلك شجرة العناب . فامر الامبراطور فى الحال احضار شتلات تلك الشجرة وغرسها فى حديقة القصر .

كما شيد لها مسجدا كبيرا تجاه قصرها مباشرة حتى تتمكن الاميرة د لشاد خاتون مشاهدة ابناء وطنها يصلون وان تشاركهم فى عباداتهم وقد بنى هذا المسجد عام ١٧٦٥م وهو يحتوى على نقش مكتوب باربع لغات كتب الامبراطور الصينى نفسه النص الصينى من هذا النقش.

بيد ان كل هذا لم يخفف من حقد الاميرة دلشاد للامبراطـــــور الصيني جين لونغ ولم تبد ى ميلا ورغبة في الزواج منه .. بل اثار غيرة والدة الامبراطور وسخطها .. وفي يوم من الايام استغلت والدة الامبراطور غياب ابنها عن القصر واستدعت الاميرة دلشاد وسألتها عن سبب رفضها الزواج من ابنها فقالت الاميرة دلشاد : ماجئت الى هنا بطلب الزواج .. بل كنت اطلب الانتقام لبلادي وزوجي ولكن الظروف لم تساعدني على تحقيـــــق ما اردت .. فالموت عندي افضل من ان اقترن بهذا الامبراطور الكافر . ثـــم اجتمعن عليها وصيفات القصر وقتلنها خنقا بحبل مفتول من الحرير ..وعندما علم الامبراطور بالنبأ عاد مسرعا الى القصر ولكن بعد فوات الاوان فأمـــر بدفنها بمأتم ملكي عظيم في مقابر تونغ لينغ Tung-Ling الخاصـــة لاباطرة المانشور ثم دفن بجوارها الامبراطور جين لونغ بعد وفاته حسبما ترويها المصادر الصينية . . ولكن الروايات الشعبية في تركستان الشرقيـــة تفيد ان جثمان الفقيدة الاميرة دلشاد نقلت الى كاشغر ودفنت في مقابـــر عائلة خوجه التي تعرف بضريح اباق خوجه وهي التي اشار اليها المقـــال باسم مسجـــد الاميرة المسلمة .. ولهذا المسجد او بالاصح الضريح رواية طويلة تحكي قصة الصراع بين الكفاح الوطني لابناء تركستان الشرقيـــــة والاستعمار الصيني في هذا البلد المسلم السليب .

بقي ان تعرف ان عائلة الملك برهان الدين خوجه تنتسب الى الشجرة النبوية الشريفة كما تفيد بعض المصادر التاريخية فهاتاريخ خوجوان تركستان الشرقية لمحمد صادق الكاشغري الذي نشره المستشرق الانجليزي روبـــرت

شاو Robert B. Shaw عام١٨٩٧ ودراسة الدكتور هنـــــــــــرى
شوارز Henry G.Schwarz بعنوان خوجوان تركستان الشرقية المنشـور
فى مجلة آسيا الوسطى الصادرة فى وشبادن عام١٩٧٦.

المسلمون فى الصين .. والأويغـور

ينقسم المسلمون فى الصين الى مجموعتين رئيسيتين هما :

المسلمون الصينيون الذين يعرفون باسم قومية خوى Hui وهـــــؤلاء يتكلمون ويكتبون باللغة الصينية وينتشرون فى انحاء الصين ويقدر عددهـــم بحوالى ٧ ٢١٩ ٣٥٢ نسمة بموجب احصاء عام١٩٨٣م.

المسلمون التركستانيون وهم سكان تركستان الشرقية الاصليين ويرجعـون الـــى اصول تركيـــة هى الأويغور والقازاق والقيزغير والاوزبك والتتار والتاجيـــك ويتكلمون لهجات مشتقة من اللغة التركية ويستعملون الابجدية العربية فـــى كتاباتهم ويبلغ اجمالى عددهم بحوالى ٧ ٠٢١ ٧٧٣ نسمة ويشكل الأويغـور الكثافة العددية اذ وصل تعدادهم الى ٩٥٧ ١١٢ ٥ نسمة وذلك حسـب احصاء عام١٩٨٣م وقد اشار الكاتب الكريم الى لفتهم باسم (ويجورس) وهـــى اللغة الأويغورية نسبة الى الأويغور ويلفظها الصينيون وى - وو - ره Wei-wu-erh ويقلدهم بعض الكتاب ويلفظون Uighur -Ouigour (ويغور) وقـــد استعمل الجغرافيون والمؤرخون العرب فى كتبهم اسم التغزغز اى توقوز - اوغـوز على اتراك تركستان الشرقية وخاصة على الاويغور وكلنت اخبارهم الواردة فـــى المصادر العربية جزئية مقتضبة ولعل اكبرها اهمية ما اورده المسعـــودى والنديم . واول رحلة عربية سجلت عن هذه المنطقة كانت رحلة تميم بن بحـــر

المطوعى الى بلاد الاويغور فيما بين ٧٦٠-٨٠٠م وقد نقل عنه ياقوت الحموى وابن الفقيه والخرداذبه وغيرهم معلوماتهم عن الاويغور وبلادهم . ويقول تميم ابن بحر المطوعى (وذكر ان خاقان ملك التغزغز كان مخاتنا بملك الصين وان ملك الصين يحمل اليه فى كل سنة خمسمائة الف فرند) ويقول المسعودى ان امير بيش باليق (اورومجى الحالية) وقراخوجه اخذ حماية اخوانه فى الدين (المانويين) من امبراطور الصين . ويفسر المستشرق الروسى ف. بارتولد ذلك بقوله (وكان على الامبراطور الصينى وهو يضطهد الديانات المنتشرة فى بلاده ماعدا البوذية ان يحسب حساب الحماية التى بسطها خاقان الاويغور على المانويين بالصين ولم يضطهد الصينيون الديانات الاجنبية فى بلادهم الا بعد ان انهارت دولة الاويغور على يد القيرغيز حينئذ اضطهدت الصين الديانات ومنها المانوية .

وتعلم الاويغور الابجدية الصغدية التى اقتبسها الصغديون من المسيحيين النسطوريين اللاجئين الى ايران من سوريا وهى ابجدية ترجع اصولها الى الابجدية الارامية التى استخدمها الانباط فى شرق الاردن ومنها تطور الخط العربى وقد سميت هذه الابجدية التى استعملها الاتراك عموما بالابجدية الاويغورية ثم تعلمها المغول والمانشور . وفى الوقت الذى تخلى الاتراك بعد اعتناقهم الاسلام عن الابجدية الاويغورية لاحرف الهجاء العربى الذى ينتمى ايضا الى الابجدية الارامية ، فالمغول لا يزالون يستعملون الابجدية الاويغورية الى اليوم .

وخلال الحكم العربى فيما وراء النهر تغلغل الاسلام فى تركستا ن واسلم اعداد كبيرة من الاتراك على يد الدعاة والتجار ووصل بعضهم الى مراكز ومواقع هامة فى الدولة العباسية وكان احمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية فى مصر عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م من التغزغزاى من الاويغور.

ولقد كتب الاستاذ سيف الدين عزيزى نائب رويس مجلس الشعب الصينى وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى وهو ايغورى من تركستان الشرقية وحاكم سابقا لها رواية تاريخية بعنوان (سوتوق بوغراخان) طبعت ونشرت باللغة الاويغورية فى بكين عام ١٩٨٧ تحكى قصة اسلام سوتوق يوغراخان الذى نشر الاسلام فى تركستان الشرقية واسس اول دولة تركية مسلمة فى تلك الديار برزت فى ظلها حضارة اسلامية تركية لاتزال سائدة فى آسيا الوسطى الى اليوم.

التهجير الصينى .. وحركات الاستقلال فى تركستان الشرقية

نشرت جريدة لوموند الفرنسية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٦/٨/١٩٨٧م كلمة لمراسلها باتريس دى بير Patrice de Beer تضمنت استياء وسخط الاويغور المسلمين من المهجرين الصينيين حيث ينقل عن مدرس اويغورى قوله: انا لااحب الصينيين (هان) فهم يستعمروننا ونحن مجبورين على الخضوع لهم واذا لم نتكلم الصينية لن نجد عملا جيدا فى المدينة.

ع/ع

كما ان الصينيين يعتبرون تركستان الشرقية منطقة صينية سياسيا ويشعرون كما لو انهم فى بلد اجنبى .. ومع ان كل مهجر صينى يرغب العودة الى موطنه الاصلى فى الصين فالحكومة الصينية لا تجيز ذلك والالحدث هجرة عودة جماعية الى الصين .

وقد ذكر المراسل الفرنسى عن تنظيم الطلاب الاويغور المسلمين للمظاهرات فى اورومجى (عاصمة تركستان الشرقية - شنجانغ) فى ديسمبر ١٩٨٥م تضمنت طلب منحهم حق ادارة شئونهم ومنع اجراءات التفجيرات النووية فى بلادهم وايقاف التهجير الصينى اليها .

وفى الوقت الذى ظهر فى الشرق الاوسط مقال الاستاذ احمد ابوالفتح كانت شقيقتها عرب نيوز Arab News قد نشرت لمراسل رويتر السيد اندرو روج Andrew Roche من كاشغر بتاريخ ١٧ مايو ١٩٨٨ كلمة مثيرة عن احوال المسلمين فيها تناقض تماما عما انتهى اليه الكاتب الفرنسى المسيو آلان بيرفيت الذى نقل عنه الاستاذ احمد ابوالفتح قوله (المتدنيون سواء كانوا من المتزمتين فى التمسك بالقواعد الدينية اوالذين يؤدون الفرائض ولكن يعايشون التطور والشيوخ منهم والشباب لا يفكرون ابدا فى انفصال المسلمين فى دولة مستقلة عن الصين .. وان مايدعو الزعماء الصينيون الى هذا الايمان هو ان المسلمين لن يطالبوا بالانفصال لعدم تمركزهم فى تجمعات كبيرة كما هو الحال فى الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفياتى . بالاضافة الى ان الحرية التى اطلقها الحكم بالنسبة

للعبادة قد الغت الاضطهاد الذ وكان المسلمون يتعرضون له فى عهد ماوتسى تونغ . واليكم مايقوله مراسل رويتر (اكد رجال الحكومة المحليين لاول مرة فى هذا الشهر بان ثورة منظمة ضد الحكم الصينى حدثت فى اوائل عام ١٩٨٠م حيث قام الفلاح المسلمون فى بلدة فيض اباد التى تبعد عن كاشغر . . (كيلومتر بهجوم مسلح ضد الصينيين وان جيش التحرير الشعبى قمع هذه الثورة بمذبحة كبيرة) .

اشارت المصادر المحلية بان الثورة تجددت فى كاشغر عام ١٩٨١م عندما قتل تاجر صينى فلاحا اويغوريا اوقف عربته المحملة بالسماد فى الفضاء الخارجى .

وتتمثل المقاومة السياسية الحالية للمسلمين التركستانيين فى مظاهرات معادية مثلما سيرها الطلاب الاويغوريون فى عام ١٩٨٦م وكذلك فى ارسال منشورات تطالب باستقلال شنجانغ Xinjiang (تركستان الشرقية) الى الصحفيين الاجانب فى بكين .

واذا كانت الباحثه الفرنسية هيلين كاريرد انكوس Hélène Carrer d'encausse توقعت تجزؤ الاتحاد السوفياتى بثورات انفصالية فى كتابها (انفجار الامبراطورية L'Empire eclate) فان الكاتب فيكتور لويس (Victor Louis) قد تنبأ ايضا بحدوث حركات انفصالية تؤدى الى انهيار الصين فى كتابه (الانهيار المنتظر للامبراطورية الصينية The Coming Decline of the Chinese Empire) وهناك

العديد من الكتب التى تتحدث عن ثورات المسلمين للاستقلال والتحرر عن الحكم الصينى فى تركستان الشرقية . . بل فى ولايات صينية مثل يونان وكانسو وشانشى تؤكد بوضوح رغبة المسلمين وكفاحهم ضد الاستعمار الصينى .

الروسى المسلم . . من هو ؟

كير جيزى السوفياتيه . . جركيز هو تصحيف لكلمة قيرغيز وهو اسم لقبيلة القيرغيز التركية التى تستوطن جمهورية قيرغيزستان السوفياتيه فى جنوب شرق تركستان الغربية والمسلمون فى الاتحاد السوفياتى هم فى غالبيتهم العظمى شعوب تركية مسلمة فى تركستان الغربية والقفقاس وايديل اورال وشبه جزيرة القريم واذربيجان وقازان وباشغرد يا يستاوون لاستعمال اسم الروسى المسلم عليهم اذ لا يعتبرون انفسهم روسا فهم لا ينتمون اليهم بنسب او بصلة سوى ان بلادهم تقع تحت الاحتلال الروسى ويرون ان تسميتهم بالروس هو انكار لاصلهم واقرار بالحكم الروسى على بلاد اسلامية ذلك لان الروس شعب يختلف عنهم احتل بلادهم بالقوة وان الحكومة الروسية تنتهج سياسة ترويس الشعوب المسلمة وبلادها ويحبون مناداتهم ووصفهم بالمسلمين التركستانيين او المسلمين القيرغيز او المسلمين القازاق او الاوزبك حسب انتماءاتهم القبلية او على الاقل تسميتهم بالمسلمين السوفيات بدلا من المسلمين الروس .

ع/ع

اما فى داخل الاتحاد السوفياتى يكفى استعمال اسم الاوزبـــــك او التتار او باشقرو للدلالة على ان الشخص مسلم ويقول د ورجينوف Dorjenov وهو قيرغيزى مختص بالدعاية ضد الدين قام بتحقيق حول بقاء الاسلام حيا فى الاوساط المثقفة فى آسيا الوسطى نشره فى مجلة موسكو فيت نوكا فى شهر ابريل ١٩٦٧ ان استاذان من التاجيك وكلاهما استاذ معاون فى معهـــد الشعوب الاسيوية فى موسكو وكلاهما ملحد ولكنهما يقولان انهما مسلمـــان لانهما تاجيك ولا ياكلون لحم الخنزير وقال له شباب من الكومسمول ذهـــب اليهم لكى يدعوهم الى الالحاد : نحن مسلمون لاننا قيرغيزيون وهكذا اصبح الاسلام صفة من صفات القومية للشعوب المسلمة فى الاتحاد السوفياتـــــى فهو مسلم لانه قازاقى وكذلك فهو داغستانى لانه مسلم والروس عندهـــــم لا يكون مسلمان مع انه قد يكون هناك شخص من اصل روسى اسلم فيمكـــــن ان يقال له : روسى مسلم وعلى اى حال فالمسلمون فى الاتحاد السوفياتـــــى يحبون تسميتهم باسماء شعوبهم الاسلامية ويكرهون نسبتهم الى الـــــروس الذين يحتلون بلادهم .

والله تعالى نسأل ان يمن على المسلمين بالعز والنصر المبين فى كـــل مكان ويرفع عنهم ما ابتلاهم من المحن ويطهر بلادهم من رجس المعتديـــــن انه سميع مجيب .

بقلم

رحمة الله احمد رحمتـــى

ع/ع